**البلاغة**

تمثل البلاغة في ميدان الإبداع الأدبي على مختلف مستوياته ، المرتكز الاساس في دعم النص وكشف النقاب عن جمالية اللغة . والمطّلع على الوقائع الـتأريخية في المجال الأدبي التي ربَتْ ونمت في أحضانها البلاغة ، يدرك أنها مثلّت قاعدة المقياس الأولى التي تسبر أغوار (البنية الجمالية ) للنص الأدبي ، وفق أحكام وأسس وأنظمة تنطلق منها وإليها.

البلاغة لغةً : من قولهم : بلغتُ الغاية إذا انتهيت إاليها ،أي بمعنى أنها الوصول والانتهاء إالى الشيء ، فسميت البلاغةُ بلاغةً لأنها تُنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه ، فيقال (الدنيا بلاغ) لأنها تؤديك إلى الآخرة.

البلاغة اصطلاحاً : (( هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته)) .

ومعنى ذلك أن يكون الكلام مطابقاً للحالة أو الموقف الذي يتحدث فيه ، أي (لكل مقامٍ مقال).

**الاستعارة**

تُعد الاستعارة من الأسس المتينة في البناء الشعري المتكامل ، إذ ينتقل الشاعر عن طريقها تنقلاًَ مجدياً ، فيجعل من ( الاستعارة) ناقلاً ذهنياً تتداخل فيه ألوان المعاني المضافة من خلال نقل المفردات من حيز إالى حيز آخر مع تضخيم المعنى المنقول وبثه ،إذ يتمم الدهشة عندما يُعطي معاني كثيرة عن طريق مفردات في أغلب الأحيان مفردة واحدة .

إن الرشاقة ودقة الاختيار هي اللبنة الاساس التي يقوم عليها النص وهذا يعتمد على مدى عمق ذائقة (الشاعر) ، فما زالت (الاستعارة) من أهم الأدوات الشعرية وأبرزها استعمالاً ، بل أنها الأكثر والأوسع في مساحة القصائد ، وذلك لأن (( الاستعارة ليست تعبيراً عمّا هو كائن وحسب، ولكنها تخلق ما ليس بكائن أيضاً ، وهذه القابلية للخلق والإبداع تجعل منها أكثر من عملية لغوية )) ، فهي نقل اللفظ من مسماه الأصلي لجعله اسماً له على سبيل الاعارة المؤقتةأي أنها معاملة عقلية وجمالية وأداة مساعدة في التوصيل ، ولا بد لهذه الاستعارة من فائدة تحدثها ، وإلا فالحقيقة أولى أن يعبّر بها.

وللشاعر الدور الرئيس في إضرام نار المعاني المستترة خلف الصورة المختزلة ، والمحافظة على توازن الاحتراق الذاتي في وحدة الصهر بين المتلقي والنص الشعري ، إذ يقوم الشاعر بتفتيش اوراق الحياة ويعيد صياغتها ، فينسخها بوابل الاستعارات ، ويُعيد بوادر الخلق للصور الفنية في اتساق موضوعي يتناغم مابين المتوفر والمخفي من حقيقة الاشياء في النفوس ولحظة الإقرار بالاحتواء الواعي للفهم .

كما جاء في رشاقة الإيجاد والانتقال بين مكنونات الذات الشعرية لدى الشاعر :

ضاع في الأََسفار عُمْري ...

وأنا أبحْثُ عَنْ عيْنَيكِ .

عَلّني ألمحُ في بَعضِ المرَافئ ،

أو على صخرة شاطِئ

لم يقطع الشاعر جانباً من البحر تاركاً جوانبه الأخرى ، ولم يأخذ منه غموضه ، أو امتداده فقط مكتفياً بالايحاء العام للبحر ، بل اختزل وحدة الوجود المادي بايجاد الرابطة المعنوية ، فاتسقت بذلك دعواه بأمنية هي رفيقة الانتظار في النفس ، فاستعار من البحر اتساعه ومن المرفأ الإيذان بالأمان والوصول بعد الرحلة المضنية في البحث ، ومن الصخرة على شاطئ الأمنية صلابة وثبوت عنوان وصوله الأخير ، ثم يقول :

طَيْفُكِ السَّاحِرُ ، يَكْسُوهُ جَلالُ الآلَهِهْ

يَسْألُ الأمواجَ عَنَّي ، عَنْ قُلُوبي التاّئِهَهْ

ولتعزيز رابطة العلاقة بين أواصر الايجاد الدلالي ، أعطى الشاعر فرصة الكشف عن بقائه في حيز الانتظار متنقلاً بين البحر والمرفأ والموج والقلاع التائهة .

ويقف الشاعر مغادراً مفازته الحبلى بالانتظارات ، فيقول :

أُنادِي التّي حُبُّها فِي دَمِي وأََبْحَثُ عَنْ طَيفِها المُحْتجِبْ

يأخذ بيد انتظاره المدجج بالأسئلة ويُعطي إيماءاتٍ بالضياع باليد الأخرى:

وَهبِْني قُذِفْتُ إلى ساحلٍ وأَرْخَيْتُ مِجْذافِي المُضْطَرِبْ

يرَخي المجذاف المضطرب بعد أن يتسلل السؤال من كف اليأس ويقر بعد ذلك :

فَمَنْذا يَرِدُّ شَبابي السَّلِيبَ مِنْ قَبْضَةِ الزّمَنِ المغُتَصِبْ

وهنا يُشير الشاعر باستعارة إالى ضعفه وقنوطه وهودليل على فوات الأوان ، فمن مناقب الاستعارة أنها (( تعطيك الكثير من المعاني باليسير من الألفاظ ، حتى تخرج من الصَّدَفَةِ الواحدة عدة (دُرر) ، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر)).

**التشبيه**

التشبيه لغةً : هو التمثيل أو المماثلة والمحاكاة وهو مصدر من فعل شَبَّه ، يقال شبّه هذا بهذا تشبيهاً.

التشبيه اصطلاحاً : تعريفات كثيرة ، أوضحها قولهم : (( هو الدلالة على مشاركة أمرٍ لأمر في معنى من المعاني أو أكثر لجامعٍ بينهما ، لغرض يقصده المتكلم ، بإحدى أدوات التشبيه ملفوظة أو مقدرة )).

أركان التشبيه أربعة هي :

1. المشبه : وهو الأمر الذي يراد تشبيههُ أو إلحاقهُ بغيره ، أو هو الموضوع المقصود بالوصف ، كما جاء في قوله تعالى " يَومَ تكوُنُ السماءُ كالمُهْلِ " المعارج : 8 ، فالمشبه هنا هو ( السماء) وهو الركن الاساسي الأول في العبارة التي يهدف التشبيه إيضاح صورته ، شبَهها ( بالمهل وهو المعدن المذاب ) .
2. المشبه به : وهو الركن الثاني من التشبيه والأمر الذي يُشبه به ، وينبغي أن يكون المشبه به أعلى رتبةً من المشبه ، ومثاله قوله تعالى " الزجاجةُ كأنها كوكبٌ دُرّيٌّ" فالمشبه به هنا هو (كوكبٌ دُرّيٌّ).
3. أداة التشبيه : وهي الأداة التي يتم عن طريقها الربط بين المشبه والمشبه به ، والأصل أن تذكر ، وقد تحذف احياناً ، وهي ثلاثة أنواع :
4. حروف : هما (كأن) نحو قوله تعالى " طَلْعُها كأنهُ رءُوسُ الشياطين" و ( الكاف) ، كقول الشاعر جعفر الحلي :

ولهُ إلى الإقدام سُرعة هاربٍ وكأنما هو في التقدمِ يسلمُ

1. أسماء ، نحو (مثل ، ومثيل ، وشبه ، وشبيه وغيرها ).

ج- أفعال : وهي تلك التي تؤدي معنى المشاركة والمماثلة ،ماضيةً كانت أم مضارعة ، نحو : شابه يشابه ، ماثل يماثل ، ضارع يضارع، نقول : (زيدُ ماثل البحر جوداً ) وغيرها.

1. وجه الشبه : وهو المعنى المشترك بين المشبه والمشبه به ، نحو قوله تعالى (( كمثل الحمارِ يحملُ اسفاراً )) فوجه الشبه أو الجامع بين الأمرين الجهل بالمحمول .

التشبيه من الوسائل البيانية التي تحرك خيال الشاعر الممتزج بحدسه الفني في التقاط ما يمكن تآلفه وتماسكه وعرضه بصورة تشد المتلقي وتجذبه إالى مسرح حدث مشوب بروح الانبهار المفاجئ لما يقدمه من أفق ملون ، كما أنه يقوم بنقل العواطف وإثارة الأحاسيس التي تتجاوب معها الأصداء ، وتلقي الأصوات ، وهو بذلك يبتعد عن الصورة التقريرية المباشرة في إيصالها المعنى إلى المتلقي.

وقد أخذ أسلوب التشبيه طابعاً مميَّزاً وحيَّزاً واسعاً عند الشعراء للتعبير عن إبداعهم وإبراز مواهبهم وإمكاناتهم في وصف الأشياء ، ودس المعاني المستترة من خلال عنصر المشابهه وهو ((أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجه وبالحلقة في وجه آخر ، والتشبيه من جهة اللون كتشبيه الخدود بالورد ، والشعر بالليل ، والوجه بالنهار وتشبيه سقوط النار بعين الديك)) ، ورأي ابن رشيق القيرواني يقترب تماماً مما تقدم آنفاً عن التشبيه إذ قال : (( وصف الشيء بما يقاربه من جهة واحدة لا من جميع الجهات )).

وكذلك يرى عبد القاهر الجرجاني أنَّ تشبيه الشيئين أحدهما بالآخر يكون من جانبين ، يحتاج الأول إلى تأويل ، فيشمل الشكل واللون ، والتشبيه الذي يجمع شيئين ، فيما يدخل تحت الحواس ،أما الآخر،فيرى أنه لايحتاج إلى تأويل.

ونلمس التشبيه عند أحد الشعراء عن طريق حصر المعاني في حيز قابل لفتح الحدود أمام المتلقي وأخذه من خلال إدراج الصورة التشبيهية في امكانية التشبث بالمعنى الأصل والنقل الحر إليه ، مستخدماً في ذلك أقوى أدوات التصوير وامتنها (الصورة الواقعية) في خلق أجواء التأويل وفك الرموز المستديمة في معرفة الرمز ، فيوصف الاكتئاب عن طريق ما يعطي للسماء من لون (رصاصي) ، فيقول :

كانَ الضُّحى كالِحاً .. والسَّماءُ رصاصيَّة

والمدينَةُ خَرْساءَ كالمَقْبرَةْ...

إنهُ يعطي صورة مفصلة عن كآبة في كل الاتجاهات ، فأنت ما أن تنظر إلى السماء حتى تراها ملبدة بالغيوم (رصاصية) ، إن اللون الرصاصي أقرب الألوان إلى السماء وهي ملبدة بالغيوم ، وحين تنظر شوارع المدينة تراها موحشة (كالمقبرة) ، فأوجز صورة السماء الغائمة ووحشة المدينة بصورة تشبيهية مؤثرة (المدينة ، كالمقبرة).

تتجسد هذه الكثافة التصويرية في إيراد معنى ملاصق في الصورتين اللتين تنبعثان من مصدرٍ واحدٍ ،إنه التصاق مباشر وعميق لجذور الحياة ، بل بوجود الحياة .

وفي نصٍ آخر يقوم الشاعر بطيّ الخطى نحو المدى المفتوح أمام أزمة لا تنتهي ، إلا بانقضاء العمر، ولا يتمكن من مغادرة الفضاء المنبثق من الأجنحة حتى حينما يعود إلى ذكرياته:

ما أنْ تُهُادِنني الرِّياحْ

حتى يَلوذَ كطائرٍ تَعبٍ أمَضتَّهُ الجِراح

قلبي بدفءِ الذكريات

فأراكِ مُقبلةً عليَّ كأنما حُجُبٌ تُزاحْ

وكأنَّ أنفاسَ الرَّبيع يَزفُّها ألقُ الصباحْ !...

هذه الصورة التشبيهية المركبة توضح مدى معاناة الشاعر وألمه الذي كابده في أثناء الهجرة ، فما زال البحر ، والطائر ملاذين حتميين في سفر النص ، تحت ضغط الذات ، إذ إن قلبه سفينة النجاة (المخرومة) التي تعاند كل ما تجود به الرياح ، فيكون له فسحة حين تهادنه هذه الرياح ، فيجر سفينته إلى شاطئ (دفء الذكريات)، مشبهاً ذلك ب (طائرٍ تعب أمضته الجراح)، فهو حين يكون مرفرفاً بجناحيه يكون في الوقت نفسه مكبلاً بالتعب الذي هو نتاج(إمضاء الجراح به) ، وتبزغ صورة عن طريق ضبابية التعب ، فيراها مقبلةً عليه – أي الحبيبة- مستخدماً التشبيه لتصوير قدومها ب (إزاحة الحجب)، فبعد الإزاحة يكون أمام كشف حقيقي لأمان روحه ، ويكلل ذلك بصورة أخرى تعطي مدلولات اضافية لكشف الحجب ، فيقول : (وكأن أنفاس الربيع يزفها ألق الصباح) ، قد بث الحياة من خلال تنفس الصباح ، وأيّ تنفس ؟! إنه النسيم ، في هذه الصورة التشبيهية بث الشاعر أرقى مضامين الجمال في الحياة ، ثم عززها بصورة استعارية ، إذ تشابكت الخيوط الملونة في اللوحة بعد أن مزج التشبيه بالاستعارة .